سُنَنُ اللّهِ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيهِ السَّلَام في القُرآنِ الكَرِيم

إعداد

د. عبد الهادي علي آل طاهر القرني

الأستاذ المساعد في قسم الدراسات الإسلامية - كلية العلوم والآداب

جامعة بيشة

ملخص البحث

يتناولُ بحثُ (سُنَن اللهِ في قصةِ إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم) استنباطَ سُنَنِ اللهِ من قصة إبراهيم عليه السلام ودراستها، واشتمل البحث على مبحثينِ:

المبحث الأول: مدخلٌ إلى السُنَنِ، واشتملَ على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: تعريف السُّنَنِ وهي: القوانينُ التي وضعها اللهُ لِنفْسِهِ وعلى مخلوقاتِهِ، المَقطوعُ بِتَحَقُّقِها بأسبابٍ ما لم يَعرضْ لها مانعٌ، والمطلب الثاني: بيانُ أنواعِها، والمطلب الثالث: سُبلُ معرفةِ السُّنَنِ وفوائدُ معرفَتِها.

والمبحث الثاني: تَمّت دراسةُ السُّنَنِ المستنبطةِ من قصةِ إبراهيم عليه السلام، وذلك في خَمْسةِ مطالبَ: المطلبُ الأول: السُّنَنُ المُتَعَلَّقَةُ بتوحيدِ اللهِ وكمال الإيمانِ به سبحانه وتعالى، استنباطا ودراسة. والمطلبُ الثاني: السُّنَنُ المُتعلِّقَةُ بالإيمان والدعوة. والمطلبُ الثالث: السُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالنصر والتمكين. والمطلبُ الرابع: السُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالمُكذّبين وأَحوالِهم. والمطلبُ الخامس: السُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالجَزاءِ.

وقد سارَ منهجُ الدراسةِ: على المنهج الاستقرائي والاستنباطيّ والتَّحليلي، ونوع الدّراسة: نظريّة تَحلِيلِيّة، وأهمُّ النتائِجِ: عددُ السُّننِ التي تَـمَّ استنباطُها ودراستُها (٢٥) سنةً، وقد تمَّ دراستُها في عدة محاور.

الكلمات المِفتاحيّة: السُّنَّةُ، إبراهيم، القرآن.

❁❁❁

Abstract

The research entitled (The Ways of Allah in the story of Prophet Ibrahim, peace be upon him, in the Holy Qur'an) aims at deducing and exploring the ways of Allah from the story of the Prophet Ibrahim-peace be upon him. The research is divided into two major parts.

The first part is an introduction about ways of Allah. It includes three sections: (1) the definition of the Ways of Allah, which are: the Ways that Allah established for Himself and His creatures, whose realization is identified by reasons unless there is an impediment to them, (2) explaining their types, (3) the methods to know the Ways and the benefits of knowing them.

The second part examined the ways deduced from the story of Prophet Ibrahim. It includes five sections: the first one is the studying of the Ways related to the monotheism of Allah and complete faith in Him: deduction and examining. The second section is about the Ways related to faith and calls to Allah (Da'wah). The third section is about the Ways related to victory and empowerment. The fourth section is the Ways related to disbelievers and their conditions. The fifth section is about the Ways related to reward.

The study design is inductive, deductive, and analytical approach. The type of study is a library theoretical one. The study yields several important results such as: the number of Ways that were deduced and studied is (25) Ways. They have been examined under different categories.

Keywords: Ways, Ibrahim, Qur'an.

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُهُ ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أَنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله. وبعد:

فإنَّ من أجلِّ نعم اللهِ وأخصِّها نعمةَ القرآنِ العظيمِ، وكلامِ رب العالمين، الذي أعجزَ الفصحاءَ نظمُه ونظامُه، وأعيى البلغاءَ وسمُه وانسجامُه، عجائبُه لا تنقضي، ولا تفنى مع خَلَقِ الزمانِ غرائبُه، أنزلَهُ على عبدِهِ تبصرةً لأولي الألبابِ، وتحدى الخلقَ عنْ أنْ يأتوا بأدنى قدرٍ من مثلِهِ، هذا الكتابُ العظيمُ الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[فصلت: ٤٢].

لقد أَجْمَلَ الْقُرْآنُ الْكَلَامَ عَنِ الْأُمَمِ، وَعَنِ السُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ، وَعَنْ آيَاتِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَفِي الْآفَاقِ وَالْأَنْفَسِ، وَهُوَ إِجْمَالٌ صَادِرٌ عَمَّنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَمَرَنَا بِالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ، وَالسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ لِنَفْهَمَ إِجْمَالَهُ بِالتَّفْصِيلِ الَّذِي يَزِيدُنَا ارْتِقَاءً وَكَمَالًا، وقدْ جَاءَ ذِكْرُ السُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ فِي مَوَاضِعَ منَ الكِتَابِ الكرِيمِ كقولِهِ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾[الأنفال: ٣٨]، وقولِهِ في سياقِ دعوةِ الإسلامِ: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾[الكهف: ٥٥]، والمرادُ بذلك أن مشيئةَ اللهِ في خلقِهِ تسيرُ على سننٍ حكيمةٍ مَنْ سارَ عليها ظَفر.

قالَ ابنُ تيميةَ: وَعُهُودُ اللهِ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ تَنَالُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا نَالَتْ أَوَّلَهَا، وَإِنَّمَا قَصَّ اللهُ عَلَيْنَا قِصَصَ مَنْ قَبْلَنَا مِنْ الْأُمَمِ لِتَكُونَ عِبْرَةً لَنَا، فَنُشَبِّهُ حَالَنَا بِحَالِهِمْ وَنَقِيسُ أَوَاخِرَ الْأُمَمِ بِأَوَائِلِهَا، فَيَكُونُ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ شَبَهٌ بِمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَيَكُونُ لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ شَبَهٌ بِمَا كَانَ لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ[1].

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ٤٢٦).

وقد وقعَ اختياري على دراسةِ السُّنَنِ في قصةِ إبراهيمَ عليه السلام، وذلكَ لِمَا في قصة إبراهيم عليه السلام من العبرِ والعظات، والغرضُ من هذا البحثِ معرفةُ سُنَنِ الله الواردَةِ في قصةِ إبراهيم؛ لأخذِ العظةِ والعبْرَةِ، والحرصُ على السُّنَنِ التي فيها الفلاحُ والنصرُ والتوفيقُ، والابتعادُ عن السُّنَنِ التي فيها أسبابُ الهلاكِ والخُسرانِ.

وفيما يلي: أهميّةُ البحثِ. أهدافُ البحثِ. الدراساتُ السابقةُ. حدودُ البحثِ. خطةُ البحثِ. منهجُ البحثِ.

أولاً: أهميّة البحث.

١. مِعْرِفَة السُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ يعينُ عَلَى الأَخْذِ بِالأَسْبابِ نحَوَ طَرِيقِ النَجاةِ والفَلاحِ فِيْ الدُنْيَا والآخِرةِ.

٢. أخذ العبرةِ والعِظَةِ؛ ولذا حثَّ الله ﷻ بأخذ العبرة والعظة مِن القصص الواردةِ في القرآنِ الكريمِ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

٣. معرفة السُّنَنِ تزيد الإيمانَ بالله وقضائهِ وقدَرِهِ.

٤. معرفة السُّنَنِ الإلهيةِ تُعينُ على الحذَرِ من مسالكِ الهلاكِ، التي وقعت فيها الأممُ السابقةُ.

٥. معرفة السُّنَنِ تعمق الإيمان بالله وصنعِهِ المنظَّمِ الذي ليس فيهِ خلَلٌ ولا نقص.

ثانيًا: أهداف البحث.

١. استنباطُ الفوائِدِ والأحكامِ والسُّنَنِ في قصة إبراهيم عليه السلام.

٢. تحريرُ مفهومِ سُنَنِ اللهِ في الشريعة الإسلامية.

٣. العملُ بموجِبِ سننِ اللهِ وتطبيقُ ما ينتُجُ منها من فلاحٍ وخيرٍ، وتجنُّبُ ما ينتُجُ منها من هلاكٍ وشرٍّ.

٤. الوقوفُ على سننِ اللهِ في قصةِ إبراهيم عليه السلام.

ثالثًا: الدراسات السابقة.

لم أجدْ مَنْ خصّصَ دراسةَ السُّنَنِ الإلهيةِ في قصة إبراهيم عليه السلام، ولكن وقفتُ على دراساتٍ عامَّةٍ ومتنوعةٍ في السُّنَنِ الدينية والسُّنَنِ الطبيعيةِ ومنها:

١. السُّنَنُ الإلهية مصادرها وضوابطها، للدكتور مجدي عاشور. بحث محكم منشور في مجلة المسلم المعاصر المصرية.

٢. مفهومُ السُّنَنِ الرَّبّانِيَّة دراسةٌ في ضوءِ القرآنِ الكريم، للدكتور رمضان خميس زكي. دراسة نشرت في شبكة الألوكة على الشبكة العنكبوتية.

٣. سُنَنُ اللهِ في الأممِ منْ خلالِ آياتِ القرآنِ -دراسةً موضوعية- للدكتور حسن صالح. رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

٤. السُّنَنُ الإلهيةُ في القُرآن الكريم -أهميتُها وخصائصُها- للدكتور داوُد بورقيبة، بحث محكم في مجلة جامعة عمار ثليجي بالأغواط في الجزائر العدد ٧٠.

٥. السنن الإلهية الكونية والاجتماعية لطائف وبصائر بحث محكم في مجلة تدبر الصادرة من المدينة المنورة العدد ١.

٦. السُّنَنُ الإلهيةِ وخصائصُها، وطرائقُ استنباطِ السُّنَنِ القرآنية، كلاهما للدكتور رَشيد كُهُوس.

٧. السُّنَنُ الكونيةُ والاجتماعيةُ في القرآنِ الكريم، للدكتور توفيق بن أحمد الغلبزوري. بحث محكم في المجلة الدولية للآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد ٢٩.

٨. سُنَنُ الطبيعةِ والمجتمعِ في القرآن الكريم، للدكتور بكار محمود الحاج. رسالة ماجستير من جامعة القاهرة علمية دار النوادر

٩. سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن (دراسة موضوعية)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، مقدمة من الباحث: حسن صالح الحميد (١٤١٤هـ)، ولم يتيسر لي الاطِّلاع على هذه الدراسة.

١٠. سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، كلية البنات، جامعة عين شمس، مقدمة من الباحث محمد هيشور، وقد طبعها المعهد العالمي للفكر الإسلامي (١٤١٧هـ، ١٩٩٦م) وتناول فيها الباحث معنى السنن، وعرض بعض المصطلحات الحديثة المتعلقة بها، كالحتمية والصدفة والصراع، ثم بيَّن مفهوم الحضارة في القرآن الكريم وتصورات بعض المفكرين حولها، ومِنْ ثَمَّ درس بعض سنن التحضر والسقوط في القرآن كما أسماها، كسنة الاستخلاف والإهلاك.

١١. أصول العلوم الإنسانية من القرآن الكريم، كشاف موضوعي: السنن الإلهية في الآفاق والأنفس والأمم، للباحثة زينب عطية محمد، هذا الكتاب فهرس للسنن، وقد جمعت فيه الباحثة سنن المجتمع والطبيعة والأنفس، والسنن الشرعية، فجاء عملاً متجاوزاً السنن الإلهية بالمصطلح الذي حددناه بالبحث.

والدراساتُ السابقةُ عامَّةٌ ومتنوعةٌ في السُّنَنِ الدينيةِ والسُّنَنِ الطَّبيعيةِ، وَلَم أَقِف عَلَى مَن دَرَسَ وكَتَبَ في السُّنَنِ الإلهيةِ في قصةِ إبراهيمَ عليه السلام، وهذا البَحثُ خَاصٌّ في السُّنَنِ الإلهيةِ في قصة إبراهيمَ عليهِ السلامُ، وكذلك يَعتمِدُ البَحثُ على المنهجِ الاسْتِقرائي والاسْتِنْباطيّ، والتَّحليلي، وهو ما لا يوجد في بعض الدراسات السابقة.

رابعًا: حدود البحث.

البحث في سُنَنِ اللهِ التي وردت في قصةِ إبراهيم عليه السلام، في القرآن الكريمِ.

خامسًا: منهج البحث.

يَعتَمدُ البَحثُ على منهجِ التَّحليلِ والاستقراءِ والاستنباطِ، وقد سِرتُ على المنهجِ التالي:

أذكُرُ السُّنةَ المُستنبطةَ من الآيات، ثم أذكر الآيةَ معتمدًا على النسخ القرآني بالرّسمِ العثماني، ثم أنقلُ أقوالَ المفسرينَ في بيانِ معنى الآيةِ إن احتجتُ إلى ذلك، ثم أُبيِّنُ وجْهَ دلالةِ الآيةِ على السُّنة.

سادسًا: خطة البحث:

المقدمة.

المبحث الأول: مَدْخَلٌ إِلَى السُّنَنِ وَفِيهِ ثَلَاثةُ مطالِبٍ:

المطلب الأول: تعريف السُّنَنِ.

المطلب الثاني: أنواع سُنَنِ الله سُبحانَهُ وتَعالَى.

المطلب الثالث: سُبلُ معرفةِ السُّنَنِ وفوائدُ معرفَتِها.

المبحث الثاني: **السُّنَنُ الْمُسْتَنْبَطَةُ مِن قِصّةِ إبراهيم عليه السلام**. وفيه خَمْسَةُ مَطالِبٍ:

المطلب الأول: السُّنَنُ الْمُتعلِّقة بتوحيدِ الله وكمال الإيمانِ به سُبحانَهُ وتَعالَى.

المطلب الثاني: السُّنَنُ الْمُتعلِّقَةُ بالإيمان والدعوة إلى الله.

المطلب الثالث: السُّنَنُ الْمُتعلِّقةُ بالنصرِ والتَّمكينِ.

المطلب الرابع: السُّنَنُ الْمُتعلِّقةُ بالْمُكذّبين وأَحوالِهم.

المطلب الخامس: السُّنَنُ الْمُتعلِّقةُ بالجَـزاءِ.

الخاتمة.

فهرس المراجع.

المَبْحَثُ الأوّل

مَدْخَلٌ إِلَى السُّنَنِ

وَفِيهِ ثَلَاثَةُ مطالِبٍ:

المَطْلَبُ الأوّل: تَعرِيفُ السُّنَنِ:

أولاً: تَعرِيفُ السُّنَنِ لُغةً:

أولًا تعريف السُّنَنِ لُغةً: جَرَيَانُ الشَّيْءِ وَاطْرَادُهُ فِي سُهُولَةٍ. وَمِمَّا اشْتُقَّ مِنْهُ السُّنَّةُ، وَهِيَ السِّيرَةُ. وَسُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: سِيرَتُهُ[1].

والسُّنَنُ في اللغةِ جاءت على معانٍ كثيرة منها:

المعنى الأول: السيرة والطَّريقةُ. ومنه قوله ﷺ: (مَنْ سَنَّ سُنَّة حَسَنَة)[2][3].

قال ابنُ منظور: وسُنَّةُ اللهِ: أَحكامه وأَمره وَنَهْيُهُ[4].

قال الرازي: وَأَمَّا السُّنَّةُ فَهِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ وَالْمِثَالُ الْمُتَّبَعُ[5].

المعنى الثاني: البيان. قال ابن منظور: وسَنَّها اللهُ لِلنَّاسِ: بَيَّنها، وسَنَّ اللهُ سُنَّة أَي: بَيَّن طَرِيقًا قَوِيمًا. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾[الأحزاب: ٦٢].

ثانيًا: تعريف سُنَنِ اللهِ شرعًا:

١. السُّنَّةُ عند علماء الحديثِ والمصطلح: ما أُضيفَ إلى النَّبيِّ ﷺ منْ قولٍ أو فِعلٍ أو تَقريرٍ أو وصْفٍ[6].

٢. والسُّنَّةُ عند علماء الفقه ما طَلَبَ الشّارعُ فِعلَهُ لا على وجهِ الإلزامِ[7].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٦١).

(٢) رواه مسلمٌ في صحيحه (رقم١٠١٧).

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٣/ ٢٦٧).

(٤) لسان العرب (١٣/ ٢٢٥).

(٥) مفاتيح الغيب (٩/ ١٠).

(٦) انظر: المختصر في أصول الحديث للجرجاني، ص٤٠، مصطلح الحديث لابن عثيمين، ص٥.

(٧) انظر: كشف الأسرار لعلاء الدين البخاري (٢/ ٣٠٢)، المحصول للرازي (١/ ١٠٣).

٣. السُّنَّةُ عند علماء العقيدَةِ تُطلقُ على ما يُقابل البدعة[١].

والسُّنَّةُ المَقصودَةُ في هذا البحث هي: (سُنَنُ اللهِ) السُّنَنِ الإلهية أو السُّنَنِ الربانية أو السُّنَنِ الكونية ونحوها.

وتعرف بأنها: **(القوانينُ التي وضعها اللهُ والمُتيَقنُ وُقوعُها بِأسْبَابِهَا مَالمْ يَمْنعْهَا مَانعٌ)**

شرح التعريف:

القوانين: جمعُ قانون وهو: أَمْرٌ كُلِّيٌّ يَنْطَبِقُ على جَمِيعِ جُزْئِيَّاتِه الَّتِي تَتَعرَّف أَحْكامَها مِنْهُ[٢]، فسُنن الله ﷻ أمورٌ كُلّيةٌ منضبطةٌ تقعُ على جُزئياتِها، كخلْقَ الكائناتِ الحيَّةِ من ماءٍ، وفناءِ كُلِّ مَنْ في الأرضِ، وإثابةُ المُحسنِ، ومُعاقبةُ المُسيءِ، جعلها اللهُ قانُونَيْنِ عامّيْنِ لكل المَخلوقاتِ.

والمُتيَقنُ وُقوعُها بِأسْبَابِهَا مَالمْ يَمْنعْهَا مَانعٌ:

أيْ أنَّها لا بُدَّ أن تتحقَّق وتقع هذه السُّنَنُ ويتحقَّق ما رتَّبَه ﷻ عليها، مِن الجزاءِ والنَّتائج، وقد جعلَ ﷻ لبعْضِ السُّنَنِ عَوارضَ ومَوانعَ، فإذا ثبتَ المانِعُ انْتَفى وُقوعُ السُّنَّةِ، مثلُ: أنْ يَتُوبَ الظالمُ فتَنْتَفيَ عنهُ سُنّةُ الإهلاكِ، أو يَعصِيَ الصالِحُ فتَنْتَفيَ عنهُ سُنّةُ النصْرِ.

❁❁❁

(١) انظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٦٤٥)، فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ١٧٨).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني، ص١٧١، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٦٦)، الكليات لأبي البقاء، ص٧٣٤.

المَطْلَبُ الثَّانِي

أنواع سُنَنِ اللهِ سُبحانَهُ وتَعالَى

أَوّلاً: السُّنَنُ الكَوْنِيْةُ:

وهي: القوانين الذي وَضَعَها اللهُ لنفسِهِ، وقدَّرها على مخلوقاته.

ويُطلَق عليها: السُّنَنُ الإلهيّة، والكونيّة، والقدريّة، وسُنَنُ الآفاق، وسُنَنُ الله في نظام الكون، مِثلُ: العدلِ فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: (إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي)(١). والاستئثارِ بعلم الغيبِ، وكذلكَ تقليبِ الليلِ والنَّهارِ، وطلوعِ الشمسِ والقمرِ، وحركة الكواكبِ والنجومِ، وتسبيحِ المخلوقاتِ، والبعثِ بعد الموتِ، وخلقِ كُلِّ ذي روحٍ من زَوجينِ اثنين، والرزق.

وتتميَّز هذه السُّنَنُ بأنها: خارجةٌ عن إرادَةِ الإنسانِ، وأنها عامَّةٌ وليسَ فيها سُنَّةٌ أغلبيَّةٌ.

ثانيًا: السُّنَنُ الشرعية أو الدينية:

وهي: القانون الذي وَضَعَهُ اللهُ لِنفسهِ في معاملَتِهِ للمكلَّفين.

ويُطلَق عليها: السُّنَنُ الدينية، والرّبَانيّة، والاجتماعيّة، وسننُ الأَنْفُس.

والسُنَن الّتي وَضَعَها اللهُ للمكلَّـفين نوعان:

الأَوّل: سُنَنٌ وُضعَت للمكلفين، وليس لهم فيها إرادةٌ أو يدٌ أو تسبُّبٌ.

ومن أمْثِلة ذَلِك:

١. الابْتِلاء، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[العنكبوت: ١-٣].

٢. الاسْتدرَاج، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨٢﴾ [الأعراف: ١٨٢].

(١) رواه مسلمٌ في صحيحه (رقم:٢٥٥٧).

٣. التَمْيِيزُ بينَ الخَبِيثِ والطيّب، قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[الأنفال: ٣٧].

٤. التَدَافُع بينَ الحقِ والبَاطل، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[البقرة: ٢٥١].

الثاني: سُنَنٌ وُضعتْ لِلمُكَلَّفِينَ بِأسْبَابِها، وجَعَلَ لها سببًا، فَمَنْ أخذَ بها وقعت بإذن الله له ومَنْ تركها لم تَنْطبقْ عليه. وَمِنْ أمثِلةِ ذَلك:

١. إعْطَاءُ الشّاكِرينَ وعُقُوبةُ الكافِرينَ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[إبراهيم: ٧].

٢. الاسْتبدَال، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

٣. التَغْيِير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد: ١١].

٤. الجَزَاءُ بالعَمل، قال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴿١٢٣﴾﴾[النساء: ١٢٣].

قال ابن تيمية: -بعدَ أن تكلَّم عنِ السُّنَنِ الشرعيةِ وأدلتِها- فَهَذِهِ كلهَا تتَعَلَّق بأوليائِهِ، كمطيعِيهِ وعصاتِهِ، كالمؤمنينَ والكافرينَ، فسنتهُ فِي هَؤُلَاءِ إكرامُهم، وسنتهُ فِي هَؤُلَاءِ إهانتُهم وعقوبتُهم، وَهَذِه السُّنَنُ كلُّهَا سُنَنٌ تتَعَلَّقُ بِدِينِهِ وَأمرِهِ وَنَهْيِهِ ووعدِهِ ووعيدِهِ، وَلَيْسَت هِيَ السُّنَنُ الْمُتَعَلّقَة بالأُمورِ الطبيعيةِ كَسُنَّتِهِ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِب، وَغير ذَلِك من الْعَادَات، فَإِن هَذِه السّنةَ ينقضها إِذا شَاءَ بِمَا شاءهُ من الحكم، كَمَا حَبَسَ الشَّمْسَ على يُوشَع، وكما شقّ الْقَمَر لُمحَمدٍ ﷺ، وكما مَلأَ السَّمَاء بِالشُّهُبِ، وكما أَحْيَا الْمَوْتَى غَيرَ مَرّةٍ، وكَمَا جَعَلَ العَصَا حَيَّة، وكَمَا أَنبعَ المَاءَ منَ الصَّخْرَة بعصا، وكما أنبع المَاء من بَين أَصَابِع الرَّسُول ﷺ(١).

❁❁❁

(١) انظر: جامع الرسائل لابنِ تَـيّمِيَّة (١/ ٥٠).

المَطْلَبُ الثَّالِث

سُبلُ معرفةِ السُّنَنِ وفوائدُ معرفَتِها

أولاً: سُبُلُ وطُرُقُ معرفةِ السُّنَنِ:

١. النصُّ عليها بأنها سُنَّةٌ، وقد جاءت لفظةُ السُّنَّةِ في: (١٦) موضعًا من القرآنِ، (٩) صِيغ أُضيفَتْ للفظِ الجلالةِ، و(٥) صيغ أُضيفَتْ إلى الأولين، وصيغة واحدةٌ أُضيفَتْ إلى الرسل، وصيغة واحدةٌ جاءت نكرةً بلا إضافةٍ.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾[غافر: ٨٥].

٢. ربطُ الأسبابِ بالمُسبباتِ والمُقدماتِ بالنتائجِ، قال تعالى في سُنّة الإهلاكِ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾[البقرة: ٦١]، قال ابن تيميةَ: فَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَيْءٌ إلَّا بِسَبَبٍ، وَاَللَّهُ خَالِقُ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ(١).

٣. الشرطُ وجوابُهُ، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾[محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٤].

٤. القياسُ والتَّشبيهُ، وذلك بقياسِ حالةٍ بحالةٍ، أو صورةٍ بصورةٍ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[يوسف: ١١١].

قال ابنُ تيميةَ: وإنَّما تكونُ العبرةُ بهِ بالقياسِ والتَّمثيلِ(٢).

وقال تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾[آل عمران: ١١]. قال ابنُ تيميةَ: وَمن هَذَا

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية (٨/ ٧٠).

(٢) انظر: النبوات لابنِ تَـيّمِـيَّة (٢/ ٩٦٣).

الْبَاب صَارَت قصَص الْمُتَقَدِّمين عِبْرَة لنا وَلَوْلَا الْقيَاس واطِّرادُ فعلِهِ وسُنَّتِهِ لم يَصحَّ الاعتبار بهَا، والاعتبارُ إِنَّمَا يكون إِذا كَانَ حكم الشَّيْءِ حكمُ نَظِيره كالأمثال المضروبة فِي الْقُرْآن(١).

وقال ابنُ الأثير: فَإِنَّهُ لَا يَحْدُثُ أَمْرٌ إِلَّا قَدْ تَقَدَّمَ هُوَ أَوْ نَظِيرُهُ(٢).

وقال ابنُ الجوزي: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾، أي: كعادتهم: والمعنى: كذَّب هؤلاء كما كذَّب أولئك، فنزل بهم العذاب كما نزل بأولئك(٣).

ثانيًا فوائد معرفة السُّنَنِ:

١. أخذُ العِظَةِ والعِبْرةِ من التاريخِ وما وَقَعَ للأممِ السابقةِ.

٢. الأَخْذُ بالسُّنَنِ المؤديةِ للفلاحِ والقوةِ.

٣. تجنُّبُ السُّنَنِ المؤدية للخسارِ والهلاكِ.

٤. مَعرِفَةُ دِقَّةِ صُنْعِ الله ﷻ، وأن كلَّ شيءٍ يسيرُ بنظامٍ دقيقٍ، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴿١١٥﴾﴾[المؤمنون: ١١٥].

٥. الاسْتدلالُ بالسُّنَنِ على ما سيكونُ في المستقبلِ، قال ابنُ تيميةَ: وأمّا الاستدلالُ بِسُنَّتِهِ وعادتِهِ، فهو أيضًا طريقٌ برهاني ظاهرٌ لجميعِ الخلقِ وهم متفقونَ عليهِ(٤).

❁❁❁

(١) انظر: جامع الرسائل لابنِ تَـيّمِيَّة (١/ ٥٥).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ لابنِ الأثير (١/ ١٠).

(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٢١٨).

(٤) انظر: النبوات لابنِ تَيّمِيَّة (٢/ ٩٥٨). وقد ذكر بعض المؤلفين في السنن الإلهية فوائد أخرى، اكتفيت بهذه مراعاة للاختصار.

المَبْحثُ الثّاني

السُّنَنُ المُسْتَنْبَطَةُ من قِصّةِ إبراهيمَ عليه السلام

وفيه خمْسَةُ مطالبٍ:

المَطْلَبُ الأولُ: السُّنَنُ المُتعلِّقةُ بتوحيدِ اللهِ وكمال الإيمان به سُبحانَهُ وتَعالَى:

١. البقاءُ على الفطرةِ والمحافظةُ عليها بقاءٌ على الإسْلَامِ، ومِن هذا قولُهُ تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الروم: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾[البقرة: ١٣٣].

وقَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيْ عنْ رَبِهِ تَبارَكَ وتَعَالى: "وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، فَأَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ"(١)، فهذا صريحٌ فِيْ أنّ العِبادَ كُلُّهُمْ مخْلوقونَ علَى الحَنِيفيّة، وهَذَا يدلُ علَى أنّ الفِطرةَ هيَ دينُ الإسْلام، قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ "كُل مَولودٍ يُولدُ عَلَى الفطرة فَأبوَاهُ يهودَانِهِ أوْ يُنَصرَانِهِ، أوْ يمجسَانِهِ"(٢)، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾[آل عمران: ٦٧]، وقال: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

فمنْ سُنَنِ اللهِ تَعَالى أنَّ التوْحيدَ هوَ دِينُ الفطرةِ، وتَوارثَ التوْحيدِ بينَ الأنبياءِ وأبنَاءَهمْ وأتباعهمْ توارثٌ للفطرةِ وإنْ اختَلفتْ شَرائِعهمْ، فإبراهيمُ عليه السلام وصّى بَنِيهِ، وكذَلكَ يعقُوب عليهِ السّلامُ قال لبَنيهِ: لا يُصِيبنّكمُ الموتُ إلاّ وأنتُم مُسْلِمون. فَشرَائِعهم وَإنْ اخْتلَفتْ في الأفْعالِ فالأصلُ واحدٌ، ومشربُ التوحيدِ لاَ ثَانيَ لهُ(٣)، فدينُ الاسلامِ وملّةُ إبراهيمَ، هيَ صِبغَةُ

(١) رواه مسلم في صحيحه (رقم: ٢٨٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (رقم: ١٣٥٨)، ومسلم (رقم: ٢٦٥٨).

(٣) لطائف الإشارات (١/ ١٢٧).

الله وهي الفطرةُ وهيَ أحسَنُ الصِّبَغِ، فإنّها هي الحَنِيفيّة[1]، كَذلكَ في قولهِ تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[الأنعام: ٧٩].

٢. الإيمان بأحدِ الأنبياءِ أو الرّسلِ يُعدُ إيمانًا بهمْ جَمِيعًا، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

مِنْ سُنَنِ الله تعالى أنَّ مَنْ آمنَ بأحدِ الأنبياءِ واتَّبعه حقِيقةً في زَمَنِهِ يلزمه الإيمان بهم جميعا وأن من كفر بأحدهم كفر بجميعهم فالمؤمن يؤمن بِجَميعِ الأنبياءِ والرّسلِ، وَلوْ تَعَددتِ الرِسَالاتُ وَتَعاقَبَ الرُسل واختلفت الشرائع[2].

كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "نَحْنُ مُعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، دِينُنَا وَاحِدٌ"[3]، فَالتَوْراةُ التي آتاهَا الله مُوسَى، والإنْجِيل الّذِي آتَاهُ اللهُ عِيسَى، وَالكتُبُ الّتِي آتى النَبِيّين كُلَّهم، حَق وهُدى ونُورٌ منْ عندِ الله، وأنّ جَميعَ من ذَكرَ اللهُ من أنبيائِه كانُوا عَلى حَقٍ وهُدى، يُصدِّق بَعْضهم بَعْضًا، عَلَى مِنْهَاجٍ وَاحِدٍ فِي الدُعَاءِ إلى تَوْحِيدِ الله، والعَملِ بِطَاعَتِهِ، ولا نُفرِّق بَينَ أحدٍ مِنْهم[4].

٣. سُنَّةُ الشَّقاءِ والعَدَاءِ لمنْ عَبَدَ غيرَ اللهِ، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧].

دَلَّتْ هذه الآيةُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ الله تعالى أنّ كلّ ما يجلبُ الأذَى والشَقَاءَ للإنسانِ في الدُنيا والآخرةِ يعتبرُ عدوًا لهُ، حتى ولو كانَ جمادًا، فَأَطْلَقَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام لَفْظَ العَدَاوَةِ عَلَيْهِم، وَوَصفَ الأصْنامَ بِالأعداءِ معَ أنّها جَمادٌ؛ وذلكَ لما تُسَببُ عِبَادَتُها مَنْ أذَى الشِركْ باللهِ الّذي يُؤدِي إلى دُخُولِ النّارِ.

(١) جامعُ البيانِ (٢/ ٦٠٥)، معاني القرآنِ وإعرابهِ للزجاج (١/ ٢١٥).

(٢) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه للدكتور أحمد الزهراني بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٨٥.

(٣) صحيح البخاري (رقم: ٣٤٤٣).

(٤) جامع البيان (٢/ ٥٩٦).

قال ابن جرير: يقول قائل: وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم؟ فإن معنى ذلك: فإنهم عدوّ لي لو عبدتهم يوم القيامة، كما قال جلّ ثناؤه (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهَّ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا[1].

٤. سُنَّةُ الهِدايَةِ وحُسْنُ الخُلقِ لمنْ شَاءَ اللهُ اصْطِفَاءَه لرِسَالتِهِ، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾[الأنعام: ٨٣]. وقال: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾[النحل: ١٢١].

وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[الأنبياء: ٥١].

منْ سُنَنِ الله تَعَالى لمنْ شَاءَ له النُّبُوَّة، وَيخْتَصَّهُ بِهَا أن يهَديه إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، فالرسلُ يمُثلونَ الكَمَالَ الإنْسَانِي فِيْ أرْقَى صُوَرِهِ، ذَلِكَ أنَّ اللهَ تَعَالى اخْتَارَهُمْ واصْطَفَاهُم لِنفْسِهِ، فَلاَ بُدَّ أنْ يخْتَارَ أطْهَرَ البِشرِ قُلوبًا وأزْكَاهُمْ أخْلاَقًا وأقْوَاهُمْ قَرِيحةً وعقْلًا كَمَا قَالَ الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[الأنعام: ١٢٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿اجْتبَاهُ﴾ أَي: اخْتَارَهُ وَاصْطَفَاهُ، اخْتَارهُ لِنبوتِهِ واصْطَفاهُ لخُلّته، وَهَداهُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، يَعنِي هَداهُ إلَى دِينِ الإسْلاَمِ لأنهُ الصراطُ المسْتقيمُ والدينُ القويمُ[2]، يَقُولُ: وَكُنَّا عَالِمِينَ بِهِ أَنَّهُ ذُو يَقِينٍ وَإِيمَانٍ بِاللهَّ، وَتَوْحِيدٍ لَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا[3]، وَكُنَّا بِهِ عالِمِينَ أَنَّهُ أَهْلٌ لِلْهِدَايَةِ وَالنُّبُوَّةِ.

١- سُنَّةُ الإحْياءِ بعدَ الإمَاتَةِ، قال تعالى في سياق قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾[العنكبوت: ١٩-٢٠].

منْ سُنَنِ الله إعادةُ الخَلقِ مرّة أخرى، وَهو أسَهْلُ عَليْهِ، ولا يُعجِزُ منْ أوجدَها سَابِقًا، قَالَ ابنُ جَرِيرٍ: فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأ الله الأشْياءَ وكيْفَ أنشَأهَا وأحْدَثهَا، وكَمَا أوْجَدَهَا وأحْدَثَهَا ابْتِداءً،

(١) جامع البيان (١٧/ ٥٩١).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٦١١)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ١٠٥).

(٣) جامع البيان (١٦/ ٢٩١).

فلم يتعذّر عليهِ إحْداثُها مُبدئًا، فَكذلِكَ لا يتَعذّرُ عليهِ إنْشَاؤُها مُعِيدًا: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَ﴾ أيْ: ثمّ الله يُبدئُ تِلكَ البدْأةَ الآخِرَة بَعدَ الفَناء(١).

❁❁❁

المطْلَبُ الثّانِيْ

السُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالإيمَانِ والدعْوةِ إلى الله

١. من تَخلَّى عَنْ الحَنِيفيّة فقدْ وَقَعَ في السَفهِ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة:١٣٠].

دَلَّتْ هذه الآيةُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ الله أنّ كلَّ منْ رِغِبَ عنْ مِلّة إبْرَاهِيمَ الحَنِيفيّة السَمْحةِ، فَهُوَ سَفِيهٌ جَاهِلٌ، فَلَمَّا رَغِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَابْتَدَعُوا الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ، وَلَيْسَتْ مِنَ اللهِّ، وَتَرَكُوا دِينَ إِبْرَاهِيمَ وَصَفَهُمُ اللهّ بِالسَفَهِ وكلَّ منْ تَخلّى عَنْ الحَنِيفيّة فقدْ وَقَعَ في السَفهِ ومعْنَى (مَنْ): التقرير والتوبيخ، يُقَالُ: رَغِبْتُ مِنَ الْأَمْرِ إِذَا كَرِهْتَهُ، وَهُوَ تَقْرِيعٌ وَتَوْبِيخٌ، قَالَ الزَّجَّاجُ: "سَفِهَ" بِمَعْنَى جَهِلَ، أَيْ جَهِلَ أَمْرَ نَفْسِهِ فَلَمْ يُفَكِّرْ فِيهَا. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْمَعْنَى أَهْلَكَ نَفْسَهُ(٢)، والسَّفَهُ: الجهل(٣).

٢. الإيْمَانُ سَببٌ للتَوْفيقِ وقوّةِ الحُجَةِ، والظُلمُ والكفْرُ سَببٌ للحَيْرةِ والبُهتَانِ والظَلالِ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِـۧمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾[الأنعام: ٨٣].

---

(١) جامع البيان (١٨/ ٣٧٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٠٩)، مفاتيح الغيب (٤/ ٦٤)، تفسير القرطبي (٢/ ١٣٢).

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة، ص٦٤.

منْ سُنَنِ الله تَعَالى إلهامُ عَبادهِ وأوْلياءهِ صَوابَ القولِ وقوةَ الحجّةِ ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ أي: بَهَتَهُ إبراهيم[1]، قالَ إبراهيمُ عليه السلام: فإنّ اللهَ الذي هُوَ ربّي يَأتِي بالشّمسِ منَ مشْرِقِها، فأتِ بها -إن كنتَ صادقًا أنك إلهٌ- مِن مغربِها! قالَ الله تَعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾، يعني: انْقَطعَ وبَطلتْ حُجَته[2].

وقال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾[الأنبياء: ٦٢-٦٦].

قَالَ الزَمخشَري: (هَذَا مِنْ معَارِيضِ الكلامِ، ولطَائِفُ هِذَا النوعِ لا يَتغَلغلُ فيْها إلاّ أذْهانُ الرّاضةِ منْ عُلماءِ المَعَاني، والقوْلُ فيهِ أنّ قصْدَ إبراهيم صَلواتُ الله عليهِ لم يَكنْ إلى أنْ يَنسبَ الفعلَ الصادرَ عنهُ إلى الصنمِ، وإنّما قَصَدَ تقْرِيرَه لنفسهِ وإثباتهُ لها عَلى أسلوبٍ تعْرِيضِي يَبلُغ فيهِ غَرَضهُ منْ إلْزامِهمْ الحجّة وتبْكِيتِهم)[3]، وَمَعْنَاهُ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ عَلَى سَبِيلِ الشَّرْطِ، فَجَعَلَ النُّطْقَ شَرْطًا لِلْفِعْلِ، أَيْ إِنْ قَدَرُوا عَلَى النُّطْقِ قَدَرُوا عَلَى الْفِعْلِ، فَأَرَاهُمْ عَجْزَهُمْ عَنِ النُّطْقِ[4].

٣. التَأَمّلُ والتّفَكرُ في عَظمةِ مَخلوقاتِ الله يَزيدُ الإيمانَ ويُطَمئنُ القَلبَ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾[البقرة: ٢٦٠].

مِنْ سُنَنِ الله تعالى لِعِبادِهِ المؤمِنِينَ أنّ المَزِيدَ منِ النَّظرِ وَالتَأمّلِ في خَلْقِ الله ومَخْلُوقَاتِهِ يَزِيْدُ طَمْأنَةَ القُلُوبِ، وتَرْسِيخَ الإيمَان في نُفُوسِ المؤمِنِينَ، وَكذلِكَ لغيرِ المُؤمِنينَ، فَفِي الكَونِ دَلالاتٌ

(١) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٩٧).

(٢) جامع البيان (٤/ ٥٧١).

(٣) الكشاف (٣/ ٢٢).

(٤) تفسير البغوي (٥/ ٣٢٥).

على عَظَمةِ الله وَقُدرَتِهِ وَوَحدانيتِهِ ورُبوبيتِهِ، فَقدْ طَلَبَ إبْرِاهِيمُ عليه السلام منْ رَبِهِ، أنْ يُرِيَهُ -عمَليًّا- كَيفيَّةَ إحياءِ المَوتَى.

والسُّؤالُ يَدُلُّ عَلَى أنهُ يُؤمِنُ بإحياءِ الموتَى، ولكنّهُ يَطلُبُ رُؤيةَ طَرِيقةِ الإحياءِ عمليًّا، ليزدادَ إيمانًا ويقينًا، فَلَم يَكُن ذَلكَ شَكًّا منهُ ولَم يُرِد بهِ رُؤيةَ القَلبِ وإنّما أرادَ بهِ رُؤيةَ العينِ(١). قال البغوي رحمه الله: (﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، أَيْ: لِيَسْكُنَ قَلْبِي إِلَى الْمُعَايَنَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ، أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ لَهُ عِلْمُ الْيَقِينِ عَيْنَ الْيَقِينِ، لِأَنَّ الْخَبَرَ لَيْسَ كَالْمُعَايَنَةِ)(٢).

٤. الانْتِمَاءُ والوِلَايةُ للدّينِ ولِلأَنبياءِ تكُونُ مقرونةً بالاتِّبَاع، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٦٨﴾[آل عمران: ٦٨].

منْ سُنَنِ الله تعالى أنّ ادِّعاءَ الوِلَايةِ للدّينِ أو لِلأَنبياءِ لا يَكونُ بِمجَرّدِ القولِ بلْ لابُدّ منَ الاتِّبَاع، فَدَلتْ هذهِ الآيةُ عَلى أنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ وَنُصْرَتِهِ وَوِلَايَتِهِ اَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ، يَعْنِي الَّذِينَ سَلَكُوا طَرِيقَهُ وَمِنْهَاجَهُ، فَوَحَّدُوا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَسَنُّوا سُنَنَهُ وَشَرَّعُوا شَرَائِعَهُ وَكَانُوا للهَّ حُنَفَاءَ(٣) أَيْ: مَنِ اتَّبَعَهُ فِي زَمَانِهِ، وَهَذَا النَّبِيُّ يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَهُم الّذِينَ يَنبغِي لهم أَنْ يقُولُوا إِنّا عَلَى دِين، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ: وَاللهَّ يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّا أَوْلَى النَّاسِ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ مِنْكَ وَمِنْ غَيْرِكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا وَمَا بِكَ إِلَّا الْحَسَدُ، فَأَنْزَلَ اللهُّ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ(٤).

ويَدُلُّ عليهِ أَيضًا قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣١﴾[آل عمران: ٣١].

٥. كُلُّ مَنْ عَبَدَ غَيرَ الله فَهُو في ضَلالٍ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٧٤﴾[الأنعام: ٧٤]. وقال: ﴿فَلَمَّا رَءَا

(١) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٩٨).

(٢) تفسير البغوي (١/ ٣٢٢).

(٣) جامع البيان (٥/ ٤٨٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٢٧)، تفسير البغوي (٢/ ٥١)، تفسير القرطبي (٤/ ١٠٩).

ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾[الأنعام: ٧٧].

دَلَّتْ هذهِ الآيةُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللهِ أن كُلَّ مَن عَبَدَ شيئًا مِن دُونِ اللهِ وَقَعَ في الضَّلالِ والخُسرانِ.

والضَّلَالُ: الْعُدُولُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُوصِلِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا الْعَاقِلُ مِنْ سَيْرِهِ الْحِسِّيِّ أَوِ الْمَعْنَوِيِّ، وَغَايَةُ الدِّينِ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ بِمَعْرِفَةِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ، وَمَا شَرَعَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْآدَابِ لِلْفَوْزِ بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ[1]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ أي: صُوَرًا مَصْنُوعةً، ﴿ءَالِهَةً﴾ أي: بِاعْتِقَادِ إِلَهِيَّتِها، أو اتِّصَافِهَا بصفاتِهِ، أو اسْتِحْقَاقِها[2].

٦. العَبْدُ المؤمنُ بإيمانهِ يَكونُ تَأثِيرهُ كَبيرًا ولَو كانَ بمُفرَدِهِ.

من سُنَنِ اللهِ أنّ الفَردَ بصَلاحهِ وإيمانهِ قدْ يؤَدِي ما يَقُومُ به العَددُ الكثيرُ منَ الناسِ، وقَد يَكونُ إمَامًا في الخيرِ يُقتدَى بهِ، ويُتَّبع عليه، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[النحل: ١٢٠]، كَانَ وَحْدَهُ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ لِكَمَالِهِ فِي صِفَاتِ الْخَيْرِ، فإبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً لكمالِه واسْتِجْمَاعِهِ فَضائلَ لا تكادُ تُوجَدُ إلا مفَرَّقةً في أشخاصٍ كثيرة[3].

كقول الشاعر:

ولَيْسَ مِنَ اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ[4]

٧. الدَّعوةُ إلى اللهِ بالحُسنَى والكَلِمةِ الطَّيبَةِ أَدْعَى لقَبُولِها عِندَ الناسِ، قال تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾[مريم: ٤٧]، وقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾[مريم: ٤٢].

---

(١) تفسير المنار (٧/ ٤٦١).

(٢) محاسن التأويل (٤/ ٣٩٨).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٤٤)، جامع البيان (١٤/ ٣٩٣).

(٤) البيت للحسن بن هانئ، هو المعروف بأبي نواس. ديوان أبي نواس، ص٤٥٤، وانظر: الكشاف (٢/ ٥٩٩)، والدر المصون (٤/ ٣٦٦).

منْ سُنَنِ الله في التّوجيهِ للدَّعوةِ إلى الله أنّ مخاطبةَ القلوبِ والعقولِ بألطفِ عبارةٍ، وتكرارَ الطلبِ، ومخاطبةَ الخلقِ بالحُسنَى يكونُ أدْعَى وألطفَ للقبولِ، وهذا كقولِهِ تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[النحل: ١٢٥]، قال البَيضَاوي: (دَعاهُ إلى الهُدى وبيّنَ ضلالَهُ واحتجَّ عليهِ أبْلغَ احْتِجَاجٍ وأرشقَهُ بِرِفقٍ وحُسنِ أَدبٍ، حَيثُ لَم يُصَرِّح بضَلالِهِ بلْ طلبَ العلةَ التي تَدعوهُ إلى عبادةِ ما يَستخِفُ به العقلُ الصريحُ ويَأبَى الرُّكونَ إليهِ، فضلًا عن عبادتِهِ التي هِي غَايةُ التَّعظيم)[1].

قالَ إِبْرَاهيمُ: سَلامٌ عَلَيْكَ أي: سَلمْتَ منيّ لا أُصِيبكَ بمكروهٍ، سلامٌ عليكَ يا أَبَتِ، آمنةً منّي لك أن أُعاودَك فِيما كَرهتَ، ولِدُعائكَ إليّ ما تُوعَدتّني علَيهِ بالعقوبةِ[2].

٨. الجَزَاءُ مِن جِنسِ العَمل، قَال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾[مريم: ٤٨-٥٠]، وقال: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾[العنكبوت: ٢٦-٢٧]، وقال: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[الصافات: ٩٩-١٠١].

منْ سُنَنِ الله أنّ الجَزَاءَ من جنسِ العملِ، فالهجرةُ عَن مَواطِنِ الضَّلالِ والفِسقِ، والهجرةُ عنِ المجتَمَعاتِ الضّالةِ سَبَبٌ لِلثَّباتِ والتَّوفيقِ، فَلمَّا اعتزَلَ إبرَاهِيمُ قومَهُ وعبادَةَ ما كَانُوا يَعبدُونَ مِن دُونِ الله منَ الأَوثَانِ، آنَسَ وحشَتَهُ مِن فِرَاقِهم، وَأبْدَلهُ مِنهُم بِمَن هُو خَيرٌ منهم، وأَكرَمَ على الله مِنْهُم، فَوهَبَ لهُ ابنَهُ إسحاقَ، وابْنَ ابْنِهِ يَعقُوبَ بْنَ إسحاق ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ فوحَّدَ ولم

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١١).

(٢) جامع البيان (١٥/ ٥٥٥)، الكشف والبيان (٦/ ٢١٧).

يَقُل أَنبياء، لِتَوحِيدِ لَفظِ كُلّ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ ورزقنا جَميعَهُم، إِبرَاهيمَ وَإِسْحاقَ وَيعقوبَ مِن رَحمتِنا، فَمَا خَسِرَ على الله أَحَدٌ تَرَكَ الكُفَّارَ الفَسَقَةِ لوَجْهِهِ، فَعوّضَهُ أَولادًا مُؤمِنينَ أَنبياءَ، ﴿مِنْ رَحْمَتِنا﴾: هي النُّبوّةُ، عنِ الحَسنِ، وعنِ الكَلْبِي: المالُ والولدُ، وتَكُونُ عامّةً فِي كُلِّ خَيرٍ دِيني ودُنيَوي أُوتُوه. ﴿لِسَانُ الصدقِ﴾: الثَّناءُ الحَسَن. وَعَبَّرَ بِاللّسانِ عَمّا يُوجَدُ بالّلسانِ كَمَا عَبّر باليدِ عمّا يُطلقُ باليَد[1].

٩. الصَّلاةُ والعِبَادةُ وفِعْلُ الخيرِ سَبَبٌ للفَلاحِ وَالنَّجاةِ، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[سورة إبراهيم: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾[الحج: ٧٧].

منَ السُنَنِ الربّانية أَن إِقَامَةَ الصَّلاةِ وَفِعْلَ الطَّاعةِ سَبَبٌ للفَلاحِ فِي الدُّنيا والآخِرَة، قال البغوي رحمه الله: (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، أَيْ: إِذَا فَعَلْتُمْ هَذِهِ كُلَّهَا رَجَوْتُمُ الْفَلَاحَ[2] أَيْ: صَلُّوا، لِأَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ وَحْدَهُ، ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾، قَالَ ابن عباس: صِلَةُ الرَّحِمِ وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لِكَيْ تَسْعَدُوا وَتَفُوزُوا بِالْجَنَّةِ)[3].

١٠. سُنّة ابْتِلاءِ المؤمِنينَ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾[الصافات: ١٠٢].

منْ سُنَنِ الله عز وجل ابْتِلَاءُ عِبَادِهِ المؤمِنينَ في ما يُحِبون؛ ليَبْلوا إيمَانَهم ويَرفَعَ دَرجَاتِهم، كقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[العنكبوت: ٢-٣].

❁❁❁

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (٧/ ٤٥٥٠)، جامع البيان (١٥/ ٥٥٧).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٥٦).

(٣) تفسير البغوي (٥/ ٤٠١).

المَطْلَبُ الثَّالِث

السُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالنصرِ والتَّمكينِ

نصر الله لرُسِلِه وأَولِيائِهِ وتثبيتهم وَإِنزَالُ البَشَارَاتِ وَالسَّكِينَة عليهم، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴿٦٩﴾﴾[الأنبياء: ٦٩]، وقال: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴿٥٩﴾﴾[الحجر: ٥٩]، وقال: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء: ٧١]، وقال: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات: ٣٤-٣٧]،.وقال: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴿٣٣﴾﴾ [العنكبوت: ٣٣]، وقال: ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾[الحجر: ٥٣].

منْ سُنَنِ الله تعالى إِنْزَالُ الكَرَاماتِ لِرُسُلِه وَأولِيائه، ويُنْجي عَبَادهُ وأولياءهُ منَ البَطشِ والاَذَى ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ﴾ أَيْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَا تَخَفْ(١) ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴿٧١﴾﴾[الأنبياء: ٧١]، يَقُولُ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: (وهَذهِ القِصَّةُ التي قصَّ اللهُ من نَبَأِ إِبْرَاهيم وَقَومِهِ، تَذْكِير منهُ بها قومَ مُحَمدٍ ﷺ مِنْ قُريشٍ أَنهم قَدْ سَلَكُوا فِي عِبَادَتهم الأَوثان، وأَذاهُم محمدًا عَلَى نَهْيِهِ عَنْ عِبَادتِها، وَدُعائِهم إلى عبادةِ الله مُخلِصين لهُ الدِّين، مَسْلَكَ أَعْدَاءِ أَبِيهم إِبْرَاهيم، وَمُخَالفَتِهم دِينَه، وَأَن مُحَمدًا فِي بَرَاءَتِهِ مِن عِبَادتِها وإِخْلَاصِهِ العِبَادَةَ لله، وفي دُعَائِهم إِلى البَرَاءةِ مِنَ الأَصْنَامِ، وفي الصَّبرِ على ما يَلْقَى مِنْهم في ذَلِك سَالِكًا مِنْهَاجَ أبيهِ إِبْرَاهيم، وَأَنهُ مُخْرِجهُ مِنْ بينِ أَظهُرِهِم كَمَا أَخْرَج إِبْراهيم مِنْ بينِ أَظْهُرِ قَوْمِهِ حِينَ تَمَادَوا في غَيِّهِم إِلَى مُهَاجَرِه مِن أَرضِ الشَّأمِ، مُسَلٍّ بذَلِك نبيَّه محمدًا ﷺ عما يَلْقَى مِن قَومِه مِنَ المَكْرُوهِ والأَذَى، وَمُعْلِمُه أَنّه مُنْجِيه مِنْهم كَمَا نَجَّى أَبَاه إِبْراهيم مِن كَفَرَةِ قَومِه)(٢).

❁❁❁

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٥).

(٢) جامع البيان (١٦/ ٣١٠).

المَطْلَبُ الرّابِع

السُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالمُكذّبين وأحوالِهم

١. حِرصُ الكُفّارِ الشّديدِ عَلَى إضْلَالِ المُؤمِنينَ، قَال تعالى في سِياقِ الحديثِ عنْ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٣٥﴾[البقرة: ١٣٥]، وقال: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٦٩﴾[آل عمران: ٦٩].

مِنَ السُّنَنِ أنّ أَهلَ الضّلالِ والكُفْرِ يُحاولونَ دَومًا إِقْناعَ المؤمِنِينَ بِتَركِ دِينِهم وَيدْعُون إلى شِرْكِهم وَضَلَالِهم، قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي رُؤَسَاءِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، وَفِي نَصَارَى أَهْلِ نَجْرَانَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَاصَمُوا الْمُسْلِمِينَ فِي الدِّينِ كُلُّ فِرْقَةٍ تَزْعُمُ أَنَّهَا أَحَقُّ بِدِينِ اللهَّ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: نَبِيُّنَا مُوسَى أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ، وَكِتَابُنَا التَّوْرَاةُ أَفْضَلُ الْكُتُبِ، وَدِينُنَا أَفْضَلُ الْأَدْيَانِ، وَكَفَرَتْ بِعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: نَبِيُّنَا أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَكِتَابُنَا الْإِنْجِيلُ أَفْضَلُ الْكُتُبِ، وَدِينُنَا أَفْضَلُ الْأَدْيَانِ وَكَفَرَتْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ(١).

٢. اللُّجُوءُ إلى الانْتِقَامِ والبَطشِ والأَذَى للصّدِ عنْ دِينِ الله، قال تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ٦٨﴾[الأنبياء: ٦٨]، وقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٢٤﴾ [العنكبوت: ٢٤].

دَلَّتْ الآيَةُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ الله لُجوءَ الكُفّارِ وأعْداءَ الرُسلِ إلى البَطشَ والانْتِقَام، لَمْ يَكُن جَوابُ قَومِ إِبْرَاهيم عِندَمَا حَجَّهم وَغَلَبهُم بِقُوةِ حُجَّتِه، واحتَجَّ عليْهم بأنَّهم يَعْبُدُون مَا لَا يَضُرُّهم ولا يَنفعُهُمْ، إلّا أَن قَال بَعضُهُم لبَعْضٍ: (اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ) بالنّار، لجَأوا لِلْبَطشِ(٢)، وَأَجْمَعَوا رَأيَهم -لَمَّا غُلِبُوا- بِإهْلَاكِهِ: وَهَكَذَا المُبطِل إِذَا قُرِعَت شُبْهَتُه بِالحُجّة وافتَضَحَ، لَمْ يَكُن أَحدٌ أَبْغَضَ إليهِ من المُحِقِّ، وَلَمْ يَبْقَ لَه مَفْزَعٌ إلّا مُنَاصَبَتُه، وَجَعَلوا الجَوابَ اقْتُلُوه فَفَعَلُوا، فَأَرادُوا

(١) الكشف والبيان (١/ ٢٨٢)، تفسير البغوي (١/ ١٥٥).

(٢) جامع البيان (٢٠/ ٢٤) (١٨/ ٣٨٠)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٦٦).

إِحْرَاقَه بِالنّارِ، فَأَضْرَموا لَهُ النّارَ، فَألقَوهُ فيها، فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنْها، ولم يُسَلِّطْهَا عَلَيه، بَلْ جَعَلَهَا عَلَيهِ بَرْدا وَسَلَامًا(١).

٣. ضَعْفُ البَاطلِ وَوَهَنُ الحُجَّةِ لِأَتْبَاعِهِ وَمُقَابلةُ مُعجِزَاتِ الأَنبياءِ باسْتِعجَالِ العَذابِ، قال تعالى: ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾[الشعراء: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٩﴾ [العنكبوت: ٢٩].

دَلَّتْ هذه الآيةُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ الله تعالى أنَّ الكُفَّارَ يَستشهِدُونَ بِالبَاطلِ، وَيَحِيدُونَ عَنِ الجَوابِ الصَّحيحِ رُغْمَ عَدِمِ قَنَاعَتِهِم، وَذَلكَ بِاللُّجوءِ للتَّقليدِ، وَيُصِرّونَ عَلَى كُفْرِهم رُغْمَ هَشَاشةِ مَوقِفِهم وَضَعفِ حُجَّتِهم.

قال ابْنُ كَثيرٍ: (اعْتَرَفوا بِأَنّ أَصْنَامَهُم لا تَفْعَلُ شَيئًا مِنْ ذَلِك، وَإِنَّمَا رَأَوا آباءَهُم كَذَلكَ يَفْعَلُون، فَهُم عَلَى آثَارِهِم يُهْرَعُون)(٢).

فَمِنْ أَسَاليبِ الكُفَّارِ عِنْدَ دَعْوَتِهم للحقِّ الاسْتِهزاءُ والسُّخرِيَةُ والاِسْتِعجَالُ بِعذابِ الله، حَتّى أَنَّهم عَبَّرُوا بِالاِسْمِ الأَعظَمِ زِيَادةً فِي الجُرْأَةِ. يقول ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: (أَخْبَرَ تعالى عَنْ تَمَرُّدِ الكَفَرةِ في قَديمِ الزَّمانِ وَحَدِيثِهِ، وَتَكذِيبِهم بِالحَقِّ البَيّنِ الظَّاهِرِ مَعَ ما يُشَاهِدونَ منَ الآياتِ والدَلالاتِ الوَاضِحَاتِ، وَأَنّهُ ما مَنَعَهُم مِنِ اتّبَاع ذَلِكَ إلّا طَلَبُهُم أَنْ يُشَاهِدُوا العَذَابَ الّذِي وُعِدُوا بِهِ عَيَانًا، كَمَا قال أُولَئكَ لِنَبيِّهم: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧﴾[الشعراء: ١٨٧]. وآخَرونَ قَالوا: ﴿ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٩﴾[العنكبوت: ٢٩]، وَقَالتْ قُريش: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾[الأنفال: ٣٢]، ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا

(١) الكشاف (٣/ ١٢٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٦).

ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾﴾ [الحجر: ٦-٧]، إِلَى غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ الدَّالةِ عَلَى ذَلِك)[1].

المَطْلَبُ الخَامِسُ

السُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالجَزاءِ

١. الكُفْرُ والظّلمُ مَانعان مِن مَوانعِ الوِلَايةِ الدَائمةِ فِي الأَرضِ، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[البقرة: ١٢٤].

مِنْ سُنَنِ الله أنّ الظالمَ لا يَستحقُ الإمامةَ، قالَ ابنُ جرير: هَذَا خَبرٌ منَ الله جلَّ ثَناؤه عَنْ أَنّ الظَّالم لا يكونُ إمامًا يَقْتَدي بِهِ أهلُ الخيرِ. ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهُو جَوَابٌ لِمَا يُتَوهم فِي مَسْأَلتِهِ إِياهُ أَنْ يجعلَ من ذريتِهِ أَئِمَّةً مثْلَهُ، فَأَخبرَ أَنّه فَاعلٌ ذَلِك، إِلّا بِمَن كَانَ مِنْ أَهْلِ الظّلمِ مِنْهم، فَإِنّه غَيرَ مُصَيِّرِهِ كَذَلِكَ، ولا جَاعلُه في مَحَلِّ أَوليائِهِ عَندَهُ بالتَّكرِمَةِ بالإِمَامةِ؛ لأَنّ الإِمَامةَ إِنّمَا هِي لأَولِيائِهِ وأَهْلِ طَاعتِهِ، دُونَ أَعْدَائِهِ والكَافِرينَ به[2].

٢. مَنْ يَدِينُ بِغَيرِ الإِسلَامِ فَلَا يُقْبَلُ منهُ أَيُّ عَمَل، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[البقرة: ١٣٧]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران: ٨٥].

منْ سُنَنِ الله أنّه يَسْتَحِيلُ أَنْ يُوجَدَ دِينٌ آخَرُ يُسَاوِي هَذَا الدِّينَ فِي السَّدَادِ، وأنّ الإيمانَ يُورثُ الهِدَايةَ والتَّوفيقَ والرّشادَ، قَالَ البَيضَاوي: (مِن بابِ التَّعجِيزِ والتَّبكيتِ، كَقَولِه تعالى: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ إِذْ لَا مثلَ لما آمنَ بِهِ المسْلِمونْ، وَلَا دِينَ كَدِينِ الإِسلَامِ)[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ١٧٢)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٤٢٩).

(٢) جامع البيان (٢/ ٥١١).

(٣) مفاتيح الغيب (٤/ ٧٦)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٠٩).

٣. الخَسَارَةُ والذُّلُ لمنْ يَكِيدُ المُؤمِنِين، قال تعالى: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾[الأنبياء: ٧٠]. وقال: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصافات: ٩٨].

دَلَّتْ الآيَةُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ الله أنّ العاقِبَةَ لِلمُتَّقين، فَمَعْنَى الأَخْسَرينَ هَا هُنَا: أَنهم خَسِرُوا السَّعْي وَالنَّفقَة، وَلم يحصلْ لَهُم مُرَادهم[١]،﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ أي مكرًا في إضْرَارِه. ﴿فجَعَلناهُمُ الأخسَرينَ﴾ أَخْسَرَ مِن كُلِّ خَاسِر لما عَادَ سَعْيُهم بُرْهَانًا قاطعًا عَلَى أَنّهم عَلَى البَاطِلِ[٢] خَسِرُوا السَّعيَ والنَّفَقَةَ ولم يَحْصُل لَهُم مُرَادُهم.

والكَيدُ قيلَ: هوَ إلقاؤهُ في النارِ، ﴿فجَعَلناهُمُ الأخسَرينَ﴾ أي: المبَالِغِينَ في الخُسْرَانِ، وهُو إبْطَالُ ما رَامُوهُ، جَادَلوا إبْراهِيم فجَدَلَهم وبَكَّتَهم وَأَظهرَ لَهُم وأقر عقولهم، وتَقَوّوا عليه بالأَخْذِ والإِلْقَاء فخلّصَهُ الله.

قال الزَّمَخْشَري: (وَهَكَذَا المُبطِل إِذَا قُرِعَت شُبْهَتُه بِالحُجّة وافتَضَحَ، لَم يَكُن أَحدٌ أَبْغَض إليهِ من المُحِقِّ، كَمَا فَعَلتْ قُريشُ بِرَسولِ الله ﷺ حينَ عَجِزوا عَنِ المعَارَضةِ)[٣].

٤. دُخُولُ مَكَّةَ سَبَبٌ لِلأَمْنِ وَكَثْرَةِ الثَّوابِ وَالحَسَناتِ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾[البقرة: ١٢٥]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[إبراهيم: ٣٥]، وقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[إبراهيم: ٣٧].

(١) تفسير السمعاني (٣/ ٣٩٢).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٥٦)، البحر المحيط في التفسير (٧/ ٤٥١).

(٣) الكشاف (٣/ ١٢٥).

دَلَّتْ هَذِهِ الآيَاتُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَّةِ الله تَعَالَى أَنْ جَعَلَ البَيتَ الحَرَامَ مَثَابًا للنَّاسِ يَأْتُونَهُ مِن كُلِّ البِقَاعِ، وَمَن دَخَلَهُ تَهَيأَتْ لَهُ أَسْبَابُ الثَّوابِ والأَمْنِ وَالسَّكِينَةِ، وَلَا يَنْصَرفُ عَنْهُ مُنْصَرِفٌ وَهُو يَرَى أَنَّهُ قَد قَضَى مِنْهُ وَطَرًا، (مَثابَةً) قيل مَعْنَاهُ: مَكَانًا يَثُوبُ إليهِ النّاسُ على مُرورِ الأَوقَاتِ، وقِيلَ: مَكَانًا يُكْتَسبُ فِيهِ الثَّواب[1].

٥. الإِيمانُ سَبَبٌ للرّزقِ والكُفْرُ سَبَبٌ للعذابِ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾[البقرة: ١٢٦]. (مَن): منصوْبٌ بدلٌ من (أَهلَهُ)، والمعنَى: ارْزُق مَن آمن مِن أَهلِهِ دُونَ غَيرِهِم. قال ابْنُ كَثيرٍ: (لَمَّا قال إِبرَاهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾، وَعَدَلَ الدَّعوةَ عَمَّنْ أَبَى اللهُ أَن يَجْعَلَ لَهُ الوِلَايةَ، انْقِطَاعًا إِلَى الله، وَمَحَبَّةً وَفِرَاقًا لِمَن خَالَفَ أَمْرَهُ، وَإِنْ كَانُوا مِن ذُرِّيَّتِهِ، حِينَ عَرَفَ أَنَّهُ كَائِنٌ مِنْهُم ظَالِمٌ لَا يَنَالُ عَهْدَه)[2].

٦. الأَمْنُ فِي الإِيمَانِ والخَوفُ فِي الشِّرْكِ، قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام: ٨٠-٨٢].

دَلَّتْ هَذِهِ الآيَاتُ عَلَى أَنَّ مِنْ سُنَنِ الله تَعالى الأَمنُ والاِطْمِئْنَانُ النَّفسِي لأَولِيائِهِ الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَّ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلَمْ يَخْلِطُوا عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهُ، وَتَصْدِيقَهُمْ لَهُ بِظُلْمٍ، يَعْنِي: بِشِرْكٍ، وَلَمْ يُشْرِكُوا فِي عِبَادَتِهِ شَيْئًا، ثُمَّ جَعَلُوا عِبَادَتَهُمْ للهِّ خَالِصًا، أَحَقُّ بِالْأَمْنِ مِنْ عِقَابِهِ مَكْرُوهَ عِبَادَتِهِ

(١) المفردات في غريب القرآن، ص١٨٠.

(٢) جامع البيان (٢/ ٥٤٥)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٠٧).

مِنَ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، فَإِنَّهُمُ الْخَائِفُونَ مِنْ عِقَابِهِ مَكْرُوهَ عِبَادَتِهِمْ، أَمَّا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُمْ وَجِلُونَ مِنْ حُلُولِ سَخَطِ اللهِ بِهِمْ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّهُمُ الْمُوقِنُونَ بِأَلِيمِ عَذَابِ اللهِ[1] وَذَلِكَ أَنَّهُم قَالُوا لِإِبرَاهيم: احْذَرِ الأَصْنَامَ فَإِنّا نَخَافُ أَنْ تَمَسّك بِخَبَلٍ أَو جُنُونٍ لِعَيبِكَ إِيَّاهَا، فَأَجَابَهم بِقَولِهِ: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ فَإِنّها جَمَادَاتٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعْ، وَإِنّما يَكُونُ الخَوفُ مِمَّن يَقْدِرُ عَلَى النّفعِ والضّرِ، وَهُو قَولُهُ ﴿إِلَّا أَنْ يَشاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾، يَعنِي: لَكِنْ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيئًا كَانَ مَا يَشَاء؛ لأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى النّفعِ والضَّرِّ، وَإِنَّما قَالَ إِبْرَاهيم ذَلِكَ لِاحْتِمَالِ أَنّ الإِنسانَ قَد يُصيبُهُ فِي بَعضِ حَالَاتِهِ وأَيَّامِ عُمْرِهِ ما يَكْرَهُهُ، فَلَو أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ نَسَبُوهُ إِلَى الأَصْنَامِ، فَنَفَى هَذهِ الشُّبْهَةَ بِقَولِهِ ﴿إِلَّا أَنْ يَشاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾، وَهَذا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ وَلَيسَ هُوَ مِنَ الأَوّلِ فِي شَيءٍ، والمعنَى: وَلَكِن إِنْ شَاءَ رَبِّي شَيْئًا كَانَ، ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ يَعْنِي: أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيءٍ فَلَا يَخْرُجُ شَيءٌ عَن عِلْمِهِ، ﴿أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يَعْنِي: أَفَلَا تَعْتَبِرون أَنّ هَذهِ الأَصْنَامَ جَمَادَاتٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَع، وَأَنّ الضَّارَّ هُو الّذِي خَلَقَ السَمَواتِ والأَرضَ ومَن فِيهِمَا[2].

❁❁❁

(١) جامع البيان (٩/ ٣٦٨)

(٢) لباب التأويل (٢/ ١٣٠)

الخَاتِمَة

الحمدُ لله والشُّكرُ له بإتمام بحث: (سُنَنِ اللهِ في قِصَّةِ إِبْرَاهيمَ عليه السلام في القُرْآنِ الكَرِيْمِ).

وقد تمَّ في هذا البحث:

١. التعريف بِسُنَنِ اللهِ في الشرعِ، وهي: القوانينُ المُطَّرِدَة التي وضعها اللهُ لِنفْسِهِ وعلى مخلوقاتِهِ، المَقطوعُ بِتَحَقُّقِها ما لم يَعرض لها مانعٌ.

٢. بيانُ أنواعِ سُنَنِ الله وهما: السُّنَنُ الطبيعية والسُّنَنُ الدينيّة.

٣. بيانُ سُبلِ معرفةِ السُّنَنِ وفوائدِ معرفَتِها.

٤. السُّنَنُ المُستنبَطَةُ من قصَّةِ إِبْرَاهيمَ عليه السلام (٢٨) سُنَّةً، وهي: السُّنَنُ المُتَعَلَّقَةُ بتوحيدِ الله وكمال الإيمانِ به ﷻ، والسُّنَنُ المُتعلِّقَةُ بالإيمانِ والدَّعوةِ، والسُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالنصرِ والتَّمكينِ، والسُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالمُكذّبين وأَحوالِهم، والسُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالجَزاءِ.

٥. كُلُّ هذه السُّنَنِ قائمةٌ على عَدْلِ الله وحِكْمَتِهِ ﷻ، والمسلمونَ بحاجَةٍ إلى معرفةِ سُنَنِ الله، والعملِ بما فيها مِن رِضَى اللهِ والفلاحِ والنّجاحِ، والابتعادِ عن السُّنَنِ التي تؤدِّي لِسَخَطِ اللهِ والخُسرانِ والهلاكِ.

وفيما يلي أهم التوصيات:

١. دراسةُ سُنَن الله في القرآن الكريم، وشواهدها من السُّنَّةِ النبويَّةِ في موضوعاتٍ متنوعةٍ كالدَّعوةِ، والإيمان، والجهاد، والتَّدرُّجِ، والتّعامُلِ مع الأولياءِ والأعداءِ، ونحوَ ذلك.

٢. دراسةُ السُّنَنِ الإلهية في القصص القرآنيِّ كقصةِ نوح وصالح وثمود وموسى ولوط ويوسف وعيسى وغيرهم من الأنبياء.

٣. دراسةُ السُّنَنِ الإلهية في غزوات النبي ﷺ، والفتوحات، والشؤون الأسرية، والاجتماعية الواردة في القرآنِ الكريمِ.

٤. دراسةُ السُّنَنُ الإلهية في المؤمنين والكافرينَ والمنافقين ونحوهم.

٥. دراسةُ السُّنَنِ الإلهية في سورةٍ من سورِ القرآنِ الكريمِ.

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد.

المصادر والمراجع

١- ابن أبي عاصم، أبوبكر أحمد الشيباني، والألباني، محمد ناصر الدين (محقق)، السنة، ط١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.

٢- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، وتدمري، عمر عبد السلام (محقق)، الكامل في التاريخ، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ.

٣- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، والمهدي، عبد الرزاق (محقق)، زاد المسير في علم التفسير، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.

٤- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، وقاسم، عبد الرحمن بن محمد (محقق)، مجموع الفتاوى، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، طبعة، ١٤١٦هـ.

٥- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، والطويان، عبد العزيز بن صالح (محقق)، النُّبُوّات، ط١، الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ.

٦- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ورشاد، محمد سالم (محقق)، جامع الرسائل، ط١، الرياض، دار العطاء، ١٤٢٢هـ.

٧- ابن عثيمين، محمد بن صالح. مصطلح الحديث، ط١، القاهرة، مكتبة العلم، ١٤١٥هـ.

٨- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، وعبد الشافي، عبد السلام (محقق)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٩- ابن فارس، أحمد بن فارس، وهارون، عبد السلام (محقق)، مقاييس اللغة، دار الفكر، طبعة، ١٣٩٩هـ.

١٠- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، وصقر، أحمد (محقق)، غريب القرآن، دار الكتب العلمية، طبعة، ١٣٩٨هـ.

١١- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، وسلامة، سامي بن محمد (محقق)، تفسير القرآن العظيم، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ.

١٢- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.

١٣- أبو البقاء، أيوب بن موسى الكفوي، ودرويش، عدنان والمصري، محمد (محققان)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.

١٤- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، وجميل، صدقي محمد (محقق)، البحر المحيط في التفسير، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ، د.ط.

١٥- أبو داوُد، سليمان بن الأشعث السجستاني، وعبد الحميد، محمد محيي الدين (محقق)، سنن أبي داوُد، صيدا، المكتبة العصرية، د.ت.

١٦- أبو نواس، الحسن بن هانئ، والغزالي، أحمد عبد المجيد (محقق)، ديوان أبي نواس، بيرت، دار الكتاب العربي، د.ت.

١٧- أحمد، أحمد بن حنبل، والأرنؤوط، شعيب، وآخرون (محققون)، مسند الإمام أحمد، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

١٨- الأخفش، أبو الحسن المجاشعي، وقراعة، هدى محمود (محقق)، معانى القرآن، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ.

١٩- الأصفهاني، الحسين بن محمد، وعدنان، صفوان (محقق)، المفردات في غريب القرآن، ط١، دار القلم، ١٤١٢هـ.

٢٠- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، وناصر، محمد زهير (محقق)، صحيح البخاري، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢١- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، والمهدي، عبد الرزاق (محقق)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٢٢- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

٢٣- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، والمرعشلي، محمد عبد الرحمن (محقق)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٢٤- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، وعاشور، أبي محمد (محقق)، والساعدي، نظير (مراجع ومدقق)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ.

٢٥- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

٢٦- الجرجاني، علي بن محمد، وزوين، علي، المختصر في أصول الحديث، ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٧هـ.

٢٧- الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، وشاهين، محمد علي (مصحح)، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٢٨- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، والعلواني، طه جابر فياض، المحصول، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ.

٢٩- الرازي، محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

٣٠- رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة، ١٤١٠هـ.

٣١- الزجاج، إبراهيم بن السري، وشلبي، عبد الجليل عبده (محقق)، معاني القرآن وإعرابه، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ.

٣٢- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٣٣- الزهراني، أحمد بن عبد الله، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد٨٥، محرم ١٤١٠ه

٣٤- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، واللويحق، عبد الرحمن (محقق)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٣٥- السمعاني أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار، وإبراهيم، ياسر، وغنيم، غنيم بن عباس (محققان)، تفسير القرآن، ط١، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ.

٣٦- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، والخراط، أحمد محمد (محقق)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم، دمشق، د.ت.

٣٧- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، ط١، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ.

٣٨- الطبري، محمد بن جرير، والتركي، عبد الله بن عبد المحسن (محقق)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، دار هجر، ١٤٢٢هـ.

٣٩- علاء الدين البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت.

٤٠- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، والنجار، محمد علي (محقق)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د.ت.

٤١- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، وعيون السود، محمد باسل (محقق)، محاسن التأويل، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٤٢- القرطبي، محمد بن أحمد، والبردوني، أحمد، وأطفيش إبراهيم (محققان)، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.

٤٣- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، والبسيوني، إبراهيم (محقق)، لطائف الإشارات، ط٣، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

٤٤- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، وعبد الباقي، محمد فؤاد (محقق)، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٤٥- مكيّ، مكي بن أبي طالب حَمّوش، الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بإشراف الشاهد البوشيخي، ط١، الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ١٤٢٩هـ.

٤٦- المناوي، زين الدين محمد بن علي، وثروت، عبد الخالق (محقق)، التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠هـ.